﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: 272]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الهِدايَةُ والتَّوْفِيقُ إلى الخَيْرِ بِيَدِ اللهِ وحْدَهُ، والرَّسُولُ مُرْشِدٌ ومُبَلِّغٌ

لَمَّا حَثَّ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى عَلى وُجوهِ الخَيْرِ، ورَغَّبَ في لُزومِ الهُدى، وكانَ أَكْثَرُهُمْ مُعْرِضينَ؛ لِأَنَّ ما دعا إِلَيْهِ هادِمٌ لِما جُبِلوا عَلَيْهِ مِنَ الحُبِّ لِتَوْفيرِ المالِ والحَفيظَةِ على النَّفْسِ، وكانَ ﷺ شَديدَ الأَسَفِ عَلَيْهِمْ دائِمَ القَلَقِ مِنْ أَجْلِهِمْ؛ لِعَظيمِ رَحْمَتِهِ بِهِمْ وشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ، فَكانَ يَجِدُ مِنْ تَقاعُدِهِمْ عَمَّا يَدْعوهُمْ إِلَيْهِ وَجْدًا شَديدًا هَوَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى عَلَيْهِ الأَمْرَ وخَفَّفَ عَلَيْهِ الحالَ[1]، فَقالَ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾، فَعَقَّبَ اللهُ بِهذا تَسْكينًا لِنَفْسِ رَسُولِهِ، وَتَهْوِينًا عَلَيْهِ بِأَنْ لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ الْبَلاغُ[2].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هُدَىٰهُمْ﴾: الهُدى: الرَّشادُ والدَّلالةُ والتَّوفيقُ[3] والبَيانُ[4] مِنْ هَدَيْتُهُ الطَّريقَ والبَيْتَ هِدايَةً وهُدًى، أَيْ: عَرَّفْتُهُ، وأَرْشَدْتُهُ، وأَصْلُ هُدى: التَّقَدُّمُ لِلإِرْشادِ[5]، والهِدايَةُ دَلالَةٌ بِلُطْفٍ[6]، وهِيَ بَيانُ طَريقِ الرُّشْدِ خاصَّةً والتَّوَجيهُ إِلَيْهِ[7]، والمَعْنى هُنا: التَّوفيقُ الَّذي يَخْتَصُّ اللهُ بِهِ مَنْ تَوَلَّاهُ وأَعْطاهُ[8].

(1) البِقاعيّ، نظْمُ الدُّرر: 1/100-101.
(2) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/69.
(3) الجوْهريّ، الصّحاح، والزّبيديّ، تاجُ العروس: (هدى).
(4) الأَزْهريّ، تهْذيبُ اللُّغة: (هدى).
(5) ابْنُ فارِسٍ، مقاييسُ اللُّغة: (هدي).
(6) الرّاغِب، المُفْردات: (هدى).
(7) حسن المُصطفوي، التّحْقيقُ في كلِماتِ القُرآنِ الكريمِ 11/233. وجبل، المُعْجمُ الاشْتِقاقيّ: (هدى).
(8) السّمين، عُمْدةُ الحُفّاظ: (هدي)، والزّبيديّ، تاجُ العروس: (هدى).

2) ﴿خَيْرٍ﴾: الخَيْر ضدُّ الشَّرِّ، وهُوَ: ما يَرْغَبُ فيهِ كُلُّ أَحَدٍ كالعَدْلِ والفَضْلِ والشَّيْءِ النَّافِعِ[1] مِنْ مالٍ أَوْ غَيْرِهِ، وأَصْلُ الخَيْرِ مَأْخوذٌ مِنَ الرَّخاوَةِ والطَّراءَةِ[2]، ويُطْلَقُ الخَيْرُ على المالِ؛ إذا كان مَجْمُوعًا مِنْ وَجْهٍ مُباحٍ[3]، والمَعْنى هُنا: كُلُّ نَفْعٍ مُسْتَحْسَنٍ يُجيزُهُ الشَّرْعُ[4].

3) ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ؛ وبَغَيْتُ الشَّيء أَبغيه بُغاء وابتغاء: طلبته، وأصل بَغَيَ: طَلَبُ الشَّيْءِ[5] ومِنْهُ البَغْيَةُ، وهِيَ الطِّلْبَةُ والحاجَة[6]، وخُصَّ الابْتِغاءُ بالاجْتِهادِ فِي الطَّلَبِ[7]، فالمعنى هنا ابتغاء مرضاة الله، أي: طلبًا لرضاه[8].

4) ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: يُؤَدَّ إِلَيْكُمْ وافِيًا أَجْرُهُ، وأَصْلُ الوَفاءِ والتَّوفِيَةِ: بُلوغُ التَّمام، فَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ تَمامَ الكَمالِ، فَقَدْ وَفَّى[9]؛ وتَوْفِيَةُ الشَّيْءِ: بَذْلُهُ، واسْتِيفاؤُهُ: تَنَاوُلُهُ وافِيًا[10]؛ والمَعْنى هُنا: يُؤَدَّ إِلَيْكُمْ تَامًّا[11].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

مَنْ رُزِقَ الهِدايَةَ؛ فَقَدْ وُفِّقَ، ومَنْ أَنْفَقَ؛ فَلِنَفْسِهِ أَعْتَقَ:

لَيْسَ عَلَيْكَ - أَيُّها النَّبِيُّ ﷺ - هِدايَةَ الخَلْقِ إلى الإِسْلامِ هِدايَةَ تَوْفِيقٍ وقَبُولٍ لِلْحَقِّ، ولَكِنَّ اللهَ يَشْرَحُ صُدورَ مَنْ يَشاءُ لِدينِهِ، ويُوَفِّقُهُ لَهُ، فَإِنَّ التَّوْفِيقَ لِلْحَقِّ والهِدايَةِ إِلَيْهِ بِيَدِهِ، وما تَبْذُلوا مِنْ مالٍ أو مَعونَةٍ لِغَيْرِكُمْ؛ فَنَفْعُهُ الحقيقيُّ عائِدٌ إِلَيْكُمْ بالسَّعادةِ في الدنيا، وبالثوابِ الجزيلِ في الآخرة؛ لِأَنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْهُ، وَلْتَكُنْ نَفَقَتُكُمْ خالِصَةً للهِ، فَالمُؤْمِنونَ حَقًّا لَا يُنْفِقونَ إِلَّا طَلَبًا لِمَرْضاتِهِ، وما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ - قَلِيلًا كانَ أَوْ كَثِيرًا - فَإِنَّكُمْ تُعْطَوْنَ ثَوابَهُ تَامًّا غَيْرَ مَنْقوصٍ، فَإِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ أَحَدًا، ولا تُنقصُون شيئًا ممَّا وعدكم اللهُ به على نفقتكم في سبيله[12].

---

(1) الرّاغِب، المُفْردات: (خير).
(2) جبل، المُعْجمُ الاِشْتِقاقيّ: (خور-خير).
(3) السّمين، عُمْدةُ الحُفّاظ: (خير).
(4) جبل، المُعْجمُ الاِشْتِقاقيّ: (خور-خير).
(5) ابْنُ فارِسٍ، مقاييسُ اللُّغة: (بغي).
(6) الجوْهريّ، الصّحاح: (بغي)، وابْنُ منْظورٍ، لِسانُ العرب: (بغا).
(7) الرّاغِب، المُفْردات، والزّبيديّ، تاجُ العروس: (بغى).
(8) الكفوي، الكُلّيات، ص: 34.
(9) الخليل، العينُ: (وفي) وابْنُ قُتيْبة، غريبُ القُرْآنِ، ص: 98.
(10) الرّاغِب، المُفْردات: (وفى).
(11) الكفوي، الكُلّيات، ص: 992.
(12) ابْنُ عُثيمين، تفْسيرُ ابْنِ عُثيْمين: (سورةُ الفاتِحةِ والبقرة) 3/361-362، ولجْنةٌ مِنْ عُلماءِ الأزْهر، المُنْتخبُ في تفْسيرِ القُرآنِ الكريم، ص: 65، ونُخْبةٌ من العلماء، التّفْسيرُ المُيسّر، ص: 46، وجماعةٌ مِنْ عُلماءِ التّفْسير، المُخْتصرُ في تفْسيرِ القُرْآنِ الكريم، ص: 46.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ الاسْتِئْنَافِ المُعْتَرِضِ[1]:

تَسلِيَةُ قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ وبَيانٌ لِأَنْواعِ الهِدايَةِ

قَوْلُهُ تَعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾، اسْتِئْنَافٌ مُعْتَرَضٌ بِهِ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾، و"في هَذا الاسْتِئْنافِ تَسْكِينٌ لِرَوْعَتِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مَضى قَبْلَ الآيةِ مِقْدارُ رُبْعِ حِزْبٍ في الحَضِّ على الصَّدَقَةِ، وعلى خُلوصِ النِّيَّةِ، وكَرَّرَ ذَلِكَ وأَكَّدَ، فَخُشِيَ أَنْ يَتَهالَكَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ لِأَجْلِ عَدَمِ امْتِثالِهِمْ، فَأَتَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَسْكِينًا لِرَوْعَتِهِ وتَطْمِينًا لِجَنانِهِ"[2]، فالآيَاتُ المُتَقَدِّمَةُ فَصَّلَتْ في ذِكْرِ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ: مِنْهُمُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُبْطِلُونَ صَدَقَاتِهِمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يَتَيَمَّمُونَ الْخَبِيثَ مِنْهُ يُنْفِقُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ الْفَقْرَ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالْفَحْشَاءِ، وَكانَ وُجُودُ هَذِهِ الْفِرَقِ مِمَّا يَثْقُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَعَقَّبَ اللَّهُ ذَلِكَ بِتَسْكِينِ نَفْسِ رَسُولِهِ وَالتَّهْوِينِ عَلَيْهِ بِأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ هُدَاهُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ الْبَلَاغُ[3].

بلاغةُ الاستعلاءِ المجازِيِّ في قولِه: ﴿عَلَيْكَ﴾:

أفادَ حرفُ الاستعلاءِ في قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْكَ﴾؛ الاسْتِعْلَاءَ الْمَجازِيَّ[4]، أَيْ: طَلَبَ فِعْلٍ عَلى وَجْهِ الوُجُوبِ، وَالمَعْنَى: لَيْسَ ذَلِكَ بِواجِبٍ عَلَى الرَّسُولِ، فَلَا يَحْزَنُ عَلى عَدَمِ حُصولِ هُداهُمْ؛ لِأَنَّهُ أَدَّى واجِبَ التَّبْلِيغِ؛ فَكانَ التَّعْبِيرُ بِالاسْتِعْلاءِ المَنْفِيِّ أَدْخَلَ في رَفْعِ الحَرَجِ عَنْهُ ﷺ، وفي التَّسْرِيَةِ عَنْهُ.

---

(1) الاعْتِراضُ: هو أنْ يُؤْتى بِجُمْلةٍ وسط كلامٍ مُتَّصِلٍ، بعْضُهُ بِبعْضٍ، يُنْظَرُ: فضْل عبّاس، البلاغةُ فُنونُها وأفْنانُها: (عِلْمُ المعاني)، ص: 490.

(2) ابْنُ عرفة، تفْسيرُ ابْنِ عرفة: 1/323.

(3) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/69.

(4) مِنْ معاني على: إفادةُ الاسْتِعْلاء، وقدْ يكونُ الاسْتِعلاءُ حقيقيًّا كقوْلِك: (هو على الجبلِ) و: (حملهُ على ظهْرِه) أيْ: فوْقه، وقدْ يكونُ مجازيًّا، كقوْلِهِمْ: (علىّ دينٌ)، كأنّ الدّيْن علاهُ وركِبه، ولِذا تقولُ العربُ: ركِبتْني دُيونٌ " كأنّهُ يحْمِلُ ثِقل الدّينِ على عُنُقِهِ أوْ على ظهْرِه، ومِنْهُ عليّ قضاءُ الصّلاةِ وعليْهِ القِصاصُ، لِأنّ الحُقوق كأنّها راكِبةٌ لِمنْ تلْزمُهُ". يُنْظرُ: فاضل السّامرائي، معاني النّحو: 3/48.

فائدةُ التَّقديمِ والتَّأخيرِ:

توجيهُ النَّبيِّ ﷺ لما يجبُ عليه من الهدايةِ

أفادَ تَقديمُ الظَّرْفِ وَهُوَ ﴿عَلَيْكَ﴾ - عَلَى المُسْنَدِ إِلَيْهِ - وَهُوَ ﴿هُدَىٰهُمْ﴾، في قولِه تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ مُجَرَّدَ الاهْتِمامِ، بِنَفْيِ كَوْنِ هُدَاهُمْ حَقًّا عَلَى الرَّسُولِ تَهْوِينًا لِلْأَمْرِ عَلَيْهِ[1]، ومعنى الكلام: لَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَهُمْ مَهْدِيِّينَ إلى الإتْيانِ بما أُمِروا بِهِ مِنَ المَحاسِنِ، والانْتِهاءِ عَمَّا نُهُوا عَنْهُ مِنَ القَبائِحِ المَعْدودَةِ، وإنَّما الواجِبُ عَلَيْكَ الإرْشادُ إلى الخَيْرِ، والحَثُّ عَلَيْهِ، والنَّهْيُ عَنِ الشَّرِّ، والرَّدعُ عَنْهُ؛ بما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الآياتِ والذِّكْرِ الحَكيمِ[2].

نوعُ الهدايةِ المذكورةِ في الآيةِ:

هُدى التَّوْفيقِ مِنَ اللهِ المَنَّان وعَلى الرَّسولِ ﷺ هُدى الإرْشادِ والبَيانِ

الهداية نوعان: هدايةُ توفيقٍ، وهدايةُ إرشادٍ، قَال ابْنُ عَرَفَةَ: "يُقالُ: هَدَيْتُ فُلانًا إلى الإيمانِ، أَيْ: دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ؛ فَاهْتدى بِخِلافِ ما إذَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ - فَلَمْ يَهْتَدِ - فَإِنَّكَ لا تَقولُ: هَدَيْتُهُ إلى الإيمانِ، فَهَذا هُو المَنْفِيُّ في الآيَةِ، أَيْ: لَيْسَ مَطْلُوبًا بِتَحْصيلِ الهِدَايَةِ الكَسْبِيَّةِ"[3]. وأَمَّا هِدايَةُ البيانِ والإرْشادِ والدَّعْوَةِ؛ فَكانَتْ على رَسولِ اللهِ ﷺ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: 52][4]، أَيْ: تُبَيِّنُ، وتَدْعو، وتُرْشِدُ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ، فَهُدى التَّوفيقِ عَلى اللهِ، وهُدى البَيانِ على النَّبيِّ ﷺ[5].

اكتسابُ دلالةِ العمومِ من الألفاظِ والسِّياقِ:

في ذِكْرِ الهُدى والهِدايَةِ عُمومُ خِطابٍ لِكُلِّ داعِيَةٍ ومَدْعوٍّ

في قولِه تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ، ولِكُلِّ داعِيةٍ مِنْ بَعْدِه، فَالمُرادُ مِنْهُ العُمومُ؛ بِدَليلِ قَوْلِه: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وهَذا خِطابٌ عَامٌّ، ثُمَّ قالَ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾، وهُوَ في الظَّاهِرِ

(1) ابْنُ عاشورٍ، التَّحْريرُ والتَّنْوير: 3/69-70.
(2) أبو السُّعود، إرْشادُ العقْلِ السّليم: 1/409.
(3) ابْنُ عرفة، تفْسيرُ ابْنِ عرفة: 1/323.
(4) الهرري، حدائِقُ الرّوْحِ والرّيْحان: 4/88
(5) إسْماعيل حقّي، روحُ البيان: 1/434.

خاصٌّ، ثُمَّ قالَ بَعْدَهُ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾، وهذا عامٌّ؛ فَيُفْهَمُ مِنْ عُمومِ ما قَبْلَ الآيَةِ وعُمومِ ما بَعْدَها؛ عُمومُها أَيضًا[1]، وعلى تَقْديرِ خُصوصِ خِطابِ النَّبيِّ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعالى ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾، فَإِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ العُمومَ؛ لِأَنَّهُ إِذا رُفِعَ التَّكْليفُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ الذي هُوَ رَسُولٌ مَأْمورٌ بِالتَّبْليغِ والدُّعاءِ إلى الإيمانِ، فَأَحْرى أَنْ يُرْفَعَ عَمَّنْ سِواهُ[2].

فـنُّ الـطِّـبـاقِ المعنويِّ

في قَوْلِهِ: ﴿هُدَىٰهُمْ﴾ عُمومٌ في كُلِّ مَدْعوٍّ أَيْضًا جاءَ على هَيْئَةِ الطِّباقِ المَعْنَويِّ؛ إِذِ المَعْنى: لَيْسَ عَلَيْكَ هُدى الضَّالِّينَ[3]، فالضَّميرُ راجِعٌ إِلَى جَميعِ مَنْ بَقِيَ فيهِمْ شَيْءٌ مِنْ عَدَمِ الهُدى، وَأَشَدُّهُمُ المُشْرِكونَ وَالمُنافِقونَ[4].

فائِدَةُ الِالْتِفاتِ[5] مِنَ الخِطابِ إِلى الغَيْبَةِ:

تَأْكيدُ خُصوصيَّةِ الـهـدايـةِ بـالـلـه وحـــدَه، وأنَّـهـا مـــعـــذوقـــةٌ بمشيئته

في قولِه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الْتِفاتٌ مِنَ الخِطابِ إِلى الغَيْبَةِ، فَبَعْدَ تَوْجيهِ الخِطابِ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ جاءَ تَلْوينُهُ بِالِالْتِفاتِ إِلى الغَيْبَةِ على عادَةِ النَّظْمِ الكَريمِ في التَّفَنُّنِ في الأَساليبِ، مَعَ تَأْكيدِ الخَبَرِ بِاسْمِيَّةِ الجُمْلَةِ، و﴿وَلَٰكِنَّ﴾؛ لِإِفادَةِ مَعْنى خُصوصِيَّةِ الهدايَةِ باللهِ تعالى وتَأْكيدِها في حَقِّه؛ فَقَدْ أَتى فيهِ بِالِاسْمِ الأَحْسَنِ الخَاصِّ بِهِ، ولَوْ قَالَ: ولكِنَّا نَهْدي مَنْ نَشاءُ؛ لَكانَ عامًّا؛ لِأَنَّ الضَّمائِرَ كُلِّيَّةٌ، ولِأَنَّ النُّونَ والأَلِفَ تَكُونُ لِلْمُتَكَلِّمِ وَحْدَهُ؛ إِذا عَظَّمَ نَفْسَهُ ولِلْمُتَكَلِّمِ ومَعَهُ غَيْرُهُ، بِخلافِ الاسْمِ الأَحْسَنِ فَإِنَّهُ خاصٌّ بِلا شَكٍّ[6].

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/66، وأبو حيّان، البحرُ المُحيط: 2/693.
(2) ابْنُ عرفة، تفْسيرُ ابْنِ عرفة: 1/323.
(3) السّمين، الدُّرُّ المصون: 2/614، والهرري، حدائِقُ الرّوْحِ والرّيْحان: 4/99.
(4) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/69.
(5) الِالْتِفاتُ: هو أنْ يُنْتقل مِن التّكلُّمِ والخِطابِ والغيْبةِ مُطْلقًا إلى الآخِرِ. يُنْظرُ: السّكاكيّ، مِفْتاحُ العُلومِ، ص: 202.
(6) ابْنُ عرفة، تفْسيرُ ابْنِ عرفة: 1/323.

فائِدَةُ استعمالِ حرفِ الاستدراكِ:

دَفْعُ تَوَهّمِ إمكانِ هدايةِ الضَّالين بالحِرْصِ عَلَيْهِم

استُعمِلَ حرفُ الاسْتِدْراكِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾؛ لِما في الكَلامِ المَنْفِيِّ مِنْ تَوَهُّمِ إمْكانِ هَدْيِهِمْ بِالحِرْصِ أَوْ بِالإلْجاءِ، فَمَصَبُّ الاسْتِدْرَاكِ هُوَ الصِّلَةُ في ﴿مَن يَشَآءُ﴾، أَيْ: فَلَا فائِدَةَ في إلْجاءِ مَنْ لَمْ يَشَأِ اللَّهُ هَدْيَهُ، وَالتَّقْديرُ: وَلَكِنَّ هُداهُمْ بِيَدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَهْدي مَنْ يَشاءُ، فَإِذا شاءَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ هَداهُمْ[1].

فـنُّ الجناسِ الاشتقاقيِّ

ولِمُراعاةِ هَذِهِ الخُصوصيَّةِ أَيْضًا جِيءَ بِالجِناسِ الاشْتِقاقِيِّ المُغايِرِ في لَفْظِ الهُدى بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾[2]، كَما عَطَفَ بِالْواوِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ عَلى ما قَبْلَهُ لِبيانِ اتِّحادِ الجُمْلَتَيْنِ في الخَبَرِيَّةِ بِهَذِهِ الخُصوصِيَّةِ.

فائدةُ العَطْفِ عَلى ما قَبْلَ الإعْتِراضِ:

أوَّلُ المُنْتَفِعِين بالصَّدَقَةِ المُتَصَدِّقُ نفسُه ثم المتصدَّقُ عليهم

قَوْلُهُ سُبْحانَهُ وتَعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةِ ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وفَائِدَتُهُ: زِيادَة بَيانِ فَضْلِ الصَّدَقاتِ كُلِّها، وَأَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ مَنْفَعَتُهَا لِنَفْسِ الْمُتَصَدِّقِ؛ فَلْيَخْتَرْ لِنَفْسِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْهَا بِنَبْذِ كُلِّ مَا يَدْعُو لِتَرْكِ بَعْضِهَا[3].

فائدةُ الإلْتِفاتِ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخِطابِ:

تشريفُ المخاطبينَ وحضُّهم على النَّفقةِ والإمْتثالِ

قولُهُ تَعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ الْتِفاتٌ مِنَ الغَيْبَةِ في قَوْلِهِ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إلى خِطابِ الْمُكَلَّفينَ لِزيادَةِ هَزِّهِمْ نَحْوَ الامْتِثالِ، وترغيبهم في الإنفاقِ بتوجيهِ الخطابِ لهم من اللّه تعالى، ففيه تشريفٌ رفيعٌ، وفضلٌ عظيمٌ.

---

(1) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/72.

(2) أبو حيّان، البحْرُ المُحيط: 2/694، والسّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصونُ: 2/614.

(3) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/72.

بلاغةُ قولِه تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾:

إفـــادةُ فـضـلِ الـتَّـــصـــدُّق بـالـبـعـضِ بعد ذكرِ العمومِ

لِلتَّرْغيبِ في تَحَرِّي الأَجْرِ وطَلَبِ الثَّوابِ جِيْءَ بـ ﴿وَمَا﴾ الشَّرْطيَّةِ التي فيها رائحةُ العموم، و ﴿مِنْ﴾ التَّبْعِيضيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بِمَحْذوفٍ، تَقْديرُهُ: أيُّ شَيءٍ تُنْفِقوا كائِنٌ مِنْ مالٍ؛ فَهُوَ لِأَنْفُسِكُمْ، فَلا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُكُمْ، فَلا تَمُنُّوا عَلى مَنْ أَعْطَيْتُموهُ، ولا تُؤْذوهُ بِالتَّطاوُلِ عَلَيْهِ، ولا تُنْفِقوا مِنَ الخَبيثِ[1]، وحاصِلُهُ: إذا كانَ الانْتِفاعُ الأُخْرَوِيُّ لَكُمْ لا لِغَيْرِكُمْ اشْتِراكًا أَوِ انْفِرادًا؛ فَلا تُبْطِلوا ذَلِكَ الأَجْرَ العَظيمَ بِالمَنِّ اللَّئيمِ، ولا تُنْفِقوا الخَبيثَ؛ لَعَلَّكُمْ تُثابونَ بِالثَّوابِ الجَسيمِ[2].

انـتـقـاءُ مـفـردةِ (خـــيـر) دلـيـلٌ مـرشـدٌ لـوصـفِ النَّفقةِ

اختيرتْ مفردَةُ ﴿خَيْرٍ﴾ دون غيرِها من المفردات؛ لبيانِ أنَّ ما يجبُ أنْ يُنفقَه المنفقُ في سبيلِ اللهِ هو الخيرُ، فأتى بهذا الوصفِ ليُبيِّنَ أنَّه مقصودٌ في الخطابِ، وأنَّ على المتصدِّقِ أن يسعى في أنْ تكونَ صدقتُه خيرًا في أصلِها، ومآلِها.

بلاغةُ قَوْلِه: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾:

إيـــرادُ الجملةِ الخبريَّةِ بمعنى الإنشاءِ

قَوْلُهُ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ في معنى الإنشاءِ، وعلى ذلك فإمَّا أن يُحمل الخبرُ على الأَمْرِ، أَيْ: إنَّما تَكونُ مَنْفَعَةُ الصَّدَقاتِ لِأَنْفُسِكُمْ؛ إنْ كُنْتُمْ مَا تُنْفِقونَ إلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ لا لِلرِّياءِ[3]، وإمَّا أن يُحملَ الخبرُ على النَّهْيِ، أَيْ: لَا تُنْفِقُوا إلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ[4]، وَحينئذٍ تكونُ مَعْطُوفَةً على ما قَبْلَها.

إعـرابُ الجملةِ حـالًا يُعطيها مـزيـدَ بـيـانٍ لشروطِ العملِ

جملةُ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ حاليَّةٌ، وجَعْلُ الْجُمْلَةِ حالًا أَشَدُّ مُلاءَمَةً لِجَمعِ شُروطِ قَبولِ العَمَلِ مِنَ الإخْلاصِ وتَحَرِّي الصَّوابِ فيهِ، فَيَكونُ المَعْنى: وما تُنْفِقوا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّما يَكُونُ لَكُمْ لا عَلَيْكُمْ؛ إذا كانَ حالُكُمْ ألَّا تُنْفِقوا إلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ، فَفيهِ إشْعارٌ،

(1) أبو السُّعود، إرْشادُ العقْلِ السّليم: 1/409-410، والآلوسّي، روحُ المعاني: 2/44.
(2) القونَويّ، حاشيةُ القونَويِّ على البيْضاويّ: 5/454.
(3) ابْنُ عاشورٍ، التّحْريرُ والتّنْوير: 3/72.
(4) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/66-67، والبيْضاويّ، أنْوارُ التّنْزيل: 1/161.

بِالمَنِّ والأَذى، وإنْفاقُ الخَبِيثِ لَيْسَ لِوَجْهِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الإنْفاقَ كَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ أَمْرَيْنِ: أَنْ يَكونَ خالِصًا لا يَشُوبُهُ رِياءٌ، وأَنْ يَكونَ صَوابًا عَلَى الوَجْهِ الذي أُمِرَ بِهِ[1].

نكتةُ ذكرِ الوجهِ في قولِه تعالى: ﴿وَجْهِ ٱللَّهِ﴾:

ذِكْرُ الوَجْهِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ لِلتَّعْظيمِ ودَفْعِ الشَّرِكَةِ؛ لِأَنَّكَ إذا قُلْتَ: فَعَلْتُهُ لِوَجْهِ زَيْدٍ؛ كانَ أَجَلَّ مِنْ قَوْلِكَ: فَعَلْتُهُ لَهُ؛ لِأَنَّ وَجْهَ الشَّيْءِ أَشْرَفُ ما فِيهِ[2].

عِلَّةُ عَطْفِ الجملِ بعضِها على بعضٍ:

عُطِفَت جملةُ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ عَلَى الجملةِ الَّتي قَبْلَهَا لِبَيَانِ أَنَّ جَزاءَ النَّفَقاتِ بِمِقْدارِهَا، وَأَنَّ مَنْ نُقِصَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ؛ فَهُوَ السَّاعِي في نَقْصِهِ[3]، ومَعْنَى قولِه: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، أَيْ: أَجْرُهُ وثوابُهُ أَضْعَافًا مُضاعَفَةً حَسَبَمَا فُصِّلَ فيما قَبْلُ فلا عُذْرَ لَكُمْ في أَنْ تَرْغَبوا عَنْ إنْفاقِهِ على أَحْسَنِ الوُجوهِ وأَجْمَلِها، فَهُوَ تَأْكيدٌ وبَيانٌ لِلشَّرْطيَّةِ السَّابِقَةِ[4].

تَمامُ الثَّوابِ بِالإحْسانِ في الصَّدَقاتِ؛ ومُضاعَفَةُ أُجورِها بِحَسَبِ النِّياتِ

فَائِدَةُ تكرارِ فعلِ الإنفاقِ في سياقٍ واحدٍ:

كُرِّرَ فِعْلُ النَّفَقَةِ ﴿وَمَا تُنفِقُواْ﴾، ﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾، ﴿وَمَا تُنفِقُواْ﴾ ثَلاثَ مرَّات، وجِيءَ بِهِ مَرَّتَيْنِ بِصيغَةِ الشَّرْطِ عِنْدَ قَصْدِ بيانِ المُلازَمَةِ بَيْنَ الإنْفاقِ والثَّوابِ، وجِيءَ بِه مَرَّةً في صِيغَةِ النَّفْيِ والاسْتِثْناءِ؛ لِأَنَّه قَصَدَ الخَبَرَ بِمَعْنَى الإنْشاءِ، أَيْ: النَّهْيِ عَنْ أَنْ يُنفقوا؛ إلَّا في حالةِ كونِهم يريدونَ وَجْهَ اللهِ في نفقاتِهم، فَجُعِلَتْ هَذِهِ الأَحْكامُ جُمَلًا مُسْتَقِلًّا بَعْضُها عَنْ بَعْضٍ، ولَمْ تُجْعَلْ جُمْلَةً واحِدَةً مُقَيَّدَةً فَائِدَتُها بِقُيودِ جَميعِ الجُمَلِ، وأُعِيدَ لَفْظُ الإنْفاقِ في جَميعِها بِصيَغٍ مُخْتَلِفَةٍ؛

التَّكْرارُ لِلْمُبالَغَةِ في التَّأْكيدِ والاهْتِمامِ بِشأْنِ الإنْفاقِ في وُجوهِ الخَيْرِ

(1) ابنُ التّمْجيد، حاشيةُ ابْنِ التّمْجيدِ على البيْضاويّ: 5/454.
(2) الآلوسّي، روحُ المعاني: 2/45.
(3) ابنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/72.
(4) الزّمخْشري، الكشّاف: 1/317 وأبو السُّعود، إرْشادُ العقْلِ السّليم: 1/410، والبيْضاويّ، أنْوارُ التّنْزيل: 1/161.

تَكْريرًا لِلاهْتِمامِ بِشَأْنِه؛ ولِتَكونَ كُلُّ جُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةً بِمَعْناها، قَصيرةَ الأَلْفاظِ كَثيرَةَ المَعاني، فَتَجْري مَجْرى الأَمْثالِ[1]، وهذا يدلُّ على أنَّ التَّفنُّنَ غيرُ مرادٍ في القرآنِ، وأنَّ المقصودَ بالدَّرجةِ الأولى هو المعنى الذي يُؤدِّيه اللَّفظُ.

احتمالُ جملةِ الفاصلةِ الإطنابَ وعدمَه بحسبِ المعنى:

فَائِدَةُ الإطْنابِ تَقْوِيَةُ الخَبَرِ وتَقْريرُ مَعْناهُ في النَّفْسِ

إذا كان معنى: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: وافيًا غيرَ منقوصٍ، فإنَّ هذا من قبيل الإطناب، ويكونُ قَوْلُه: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تَوْكيدًا لِلْخَبَرِ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، وذلك باسْميَّةِ الجُمْلَةِ، وَتَقْديمِ ضَميرِ الفَصْلِ ﴿وَأَنتُمْ﴾ عَلَى الْخَبَرِ الفِعْلِيِّ المنفيِّ ﴿لَا تُظْلَمُونَ﴾، وفائِدَتُهُ: تَقْوِيَةُ الخَبَرِ وَزِيَادَةُ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يُظْلَمُونَ من غَيْرِهم، وَإِنَّمَا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ[2]، وتقويةُ الخبرِ وزيادةُ بيانِ التَّوفيةِ مِنْ قَبيلِ الإطْنابِ؛ لِوُرودِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ الذي مَعْناهُ: يَصِلُكُمْ وافيًا غَيْرَ مَنْقوصٍ[3].

وإذا كان معنى: ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: التَّوْفيةُ في المِقْدارِ، وعَدَمُ الظُّلْمِ في الصِّفَةِ، فَلا إطْنابَ حِيْنَها لاخْتِلافِ المَعْنَيَيْنِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَكَ عَلَيْهِ طَعامٌ مَوْصوفٌ مَثَلًا تَارَةً يُعْطيكَ مِثْلَ الصِّفَةِ وأَقَلَّ في المِقْدارِ، وتَارَةً يُعْطيكَ مِثْلَ القَدْرِ وأَدْوَنَ في الصِّفَةِ[4].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الهُدى اسْتِقامَةٌ في العِلْمِ، والإرْشادُ اسْتِقامَةٌ في العَمَلِ

الهِدايَة والإرْشاد:

الْإِرْشَادُ إِلى الشَّيْءِ هُوَ الدَّلالَةُ عَلَيْهِ والتَّبْيينُ لَهُ، وَالْهِدايَةُ: هِيَ التَّمَكُّنُ مِنَ الوُصُولِ إِلَيْهِ، وَقَدْ جَاءَتِ الهِدَايَةُ لِلْمُهْتَدي في قَوْلِهِ

(1) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/72-73.
(2) ابْنُ عاشورٍ، التّحريرُ والتّنْوير: 3/73.
(3) الهرري، حدائِقُ الرّوْحِ والرّيْحان: 4/99.
(4) ابْنُ عرفة المالِكي، تفْسيرُ ابْنِ عرفة: 1/323.

تَعَالَى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]، فَذَكَرَ أَنَّهُمْ دَعَوْا بِالهِدايَةِ وهُمْ مُهْتَدونَ لَا مَحَالَةَ، وَلَمْ يجىءْ مُثْلُ ذَلِكَ فِي الْإِرْشَادِ.

وَيُقَال أَيْضًا: هَداهُ إِلَى الْمَكْرُوه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات: 23] وإِلى المَحْبوبِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾ [الحج: 67]، ولا يُقالُ: أَرْشَدَهُ إلّا إلى المَحْبُوب[1].

والهِدايَةُ ضِدُّ الضَّلَالَةِ، كَما إِنَّ الرُّشْدَ ضِدُّ الغَيِّ، وهُوَ الانْهِماكُ في الفسادِ، فالرُّشْدُ يَدُلُّ على الحَدَثِ، ويَكونُ في العَمَلِ، والهَدايَةُ الاسْتِقامَةُ في العِلْمِ[2].

الرَّغْبَة والابْتِغاء:

في الرِّغْبَةِ مَعْنى الحِرْصِ، وفي الابْتِغاءِ مَعْنى الشِّدَّةِ والاجْتِهادِ

الرَّغْبَةُ: إِرَادَةُ الشَّيْءِ بِالحِرْصِ عَلَيْه[3].

وأَمَّا الابْتِغاءُ؛ فَهُوَ: الاجْتِهادُ في الطَّلَبِ، وقِيلَ: هُوَ الاشْتِدادُ في طَلَبِ شَيْءٍ ما[4].

فَيُلاحَظُ في الرَّغْبَةِ مَعْنى الحِرْصِ، وفي الابْتِغاءِ مَعْنى الشِّدَّةِ والاجْتِهادِ، وكِلَاهُما قَدْ يُسْتَعْمَلُ في بَعْضِ السِّياقاتِ- اسْتِعْمالَ الآخَرِ[5].

(1) العسكري، الفُروقُ اللُّغوية، 209.
(2) حسن المُصطفوي، التّحقيقُ في كلِماتِ القُرآنِ الكريم: 4/141.
(3) الكفوي، الكُلّيات، ص: 482.
(4) المناويّ، التّوقيفُ على مُهِمّاتِ التّعاريفِ، ص: 179.
(5) عدد مِن المُختصّين، بِإِشْرافِ صالِح بن حميد، نضْرةُ النّعيمِ في مكارِمِ أخْلاقِ الرّسولِ الكريمِ 6/2126 ﷺ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»